

316457 - هل الكفار لا تراودهم الوساوس أثناء عباداتهم الكفرية؟

السؤال

أنا أعاني من الوساوس في صلاتي والوضوء، وقد شاهدت لشيوخ يقولون : إن الوساوس لا تأتي إلا لشخص عنده إيمان كبير، وملتزם، وقد علمت أن هناك مسيحيون عندهم وساوس أيضا في دينهم، فكيف ذلك، وأن الوساوس لا تأتي إلا لشخص إيمانه كبير وملتزם؟

الإجابة المفصلة

غاية ما ورد في هذا الشأن هو أن بعض أهل الكفر أخبروا عن أنفسهم أنهم لا يوسمون في عباداتهم؛ فبلغ هذا بعض أهل العلم ، ففسرها بأن انتفاء الوسوسة عنهم لا يرجع إلى صحة معتقدهم؛ وإنما هذا دليل على ضلالهم وأن الشيطان يعجبه عملهم.

فروى الإمام أحمد في "الزهد" (1433) قال: حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ، حَدَّثَنَا جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْعَدَوِيُّ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قُلْتُ لِلْعَلَاءِ بْنِ زَيَادٍ: "إِذَا صَلَّيْتُ وَخَدِيْتُ لَمْ أَغْقِلْ صَلَاتِي؟" قَالَ: أَبْشِرْ، فَإِنَّ ذَلِكَ عِلْمٌ مِّنَ الْحَيْثِ، أَمَا رَأَيْتُ الْأَصْوَضَ مَرُوا بِالْبَيْتِ الْخَرِبِ وَلَمْ يَلْوُوا عَلَيْهِ، فَإِذَا مَرُوا بِالْبَيْتِ الْدِي يَرَوْا فِيهِ الْمَتَاعَ، رَأَوْلُوهُ حَتَّى يُصِيبُوْا مِنْهُ شَيْئًا".

وأما أهل الكفر لا ينتابهم مطلقا الخواطر والأفكار أثناء عباداتهم الشركية ؛ فليس هناك ما يدل عليه في أصول الشرع وأداته ، ولم نقف ، أيضا على من صرخ بذلك من أهل العلم؛ بل المعقول أن ينتابهم ذلك؛ لأن الأفكار والخواطر أثناء التعبد على ضربين:

الضرب الأول: ما يوسم به الشيطان لصاحب العبادة في عبادته، ويشوّش به على المتعبد في عباداته؛ فهذا الأصل فيه أن يرد على صاحب العبادة الصحيحة دون غيره من الضالين؛ لأن الشيطان همه إضلال الناس لا إصلاحهم؛ فلذا يسعى للتتشويش على من يريد الخير.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا نُودِيَ بِالصَّلَاةِ أَذْبَرَ الشَّيْطَانُ، وَلَهُ ضَرَاطٌ حَتَّى لَا يَسْمَعَ الْأَذَانَ، فَإِذَا قُضِيَ الْأَذَانُ أَقْبَلَ، فَإِذَا ثُوَبَ بِهَا أَذَبَرَ، فَإِذَا قُضِيَ التَّثْوِيبُ، أَقْبَلَ حَتَّى يَخْطُرَ بَيْنَ الْمَرْءَ وَنَفْسِهِ، يَقُولُ: اذْكُرْ كَذَا وَكَذَا، مَا لَمْ يَكُنْ يَذْكُرُ، حَتَّى يَظْلَمَ الرَّجُلُ إِنْ يَذْرِي كَمْ صَلَّى، فَإِذَا لَمْ يَذْرِ أَحَدُكُمْ كَمْ صَلَّى ثَلَاثًا أَوْ أَرْبَعًا، فَلَيُسْجُذْ سَجْدَتَيْنِ وَهُوَ جَالِسٌ» رواه البخاري (1231)، ومسلم (389).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:

"والوسواس يعرض لكل من توجه إلى الله تعالى بذكر أو غيره، لا بد له من ذلك، فينبغي للعبد أن يثبت ويصبر، ويلازم ما هو فيه من الذكر والصلاحة، ولا يضجر، فإنه بملازمة ذلك ينصرف عنه كيد الشيطان، (إن كيد الشيطان كان ضعيفاً).

وكلما أراد العبد توجها إلى الله تعالى بقلبه ، جاء من الوسواس أمور أخرى، فإن الشيطان بمنزلة قاطع الطريق، كلما أراد العبد يسير إلى الله تعالى أراد قطع الطريق عليه؛ ولهذا قيل لبعض السلف: إن اليهود والنصارى يقولون: لا نوسوس، فقال: صدقوا، وما يصنع الشيطان بالبيت الخراب " انتهى من "مجموع الفتاوى" (22 / 608).

وأما أهل الكفر فهم أولياء للشيطان، فهو يزين لهم ضلالهم، حتى لا ينصرفوا عنه؛ كما أخبر بهذا الوحي.

كقول الله تعالى: {إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أُولَئِكَ لَا يُؤْمِنُونَ}. الأعراف/27.

وقول الله تعالى: {تَالَّهُ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَّةٍ مِنْ قَبْلِكَ فَرَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}. النحل/63.

وقال الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ أَنْقَلَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ، وَإِخْوَانُهُمْ يَمْدُونُهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُفْصِرُونَ}. الأعراف/201 - 202.

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله تعالى:

" وأما إخوان الشياطين وأولياؤهم، فإنهم إذا وقعوا في الذنوب، لا يزالون يمدونهم في الغي، ذنبًا بعد ذنب، ولا يُقصرون عن ذلك، فالشياطين لا تُقصرون عنهم بالإغراء، لأنها طمعت فيهم، حين رأتهم سلسي القياد لها، وهم لا يُقصرون عن فعل الشر " انتهى من "تفسير السعدي" (ص 313).

الضرب الثاني: خواطر وأفكار من الإنسان نفسه، نتيجة إعمال فكره، أو لعنة فيه؛ فهذه واردة على الناس جميعا، مؤمنهم ، وكافرهم.

فالكافر قد يُعمل عقله أثناء تعبده، فإذا كان صادقا في البحث عن الحق، لا بد وأن تراوده الشكوك فيما هو فيه من عبادات تعارض العقل السليم، ولذا يدخل في الإسلام من يدخل منهم من عامتهم ورؤوسهم لما يدركوا فساد ما هم عليه.

والكافر تصيبه من العلل الجسدية والنفسية، ما يسبب له الوساوس والشكوك، كما هو الحال في الناس جميعا.

فالحاصل؛ أنه إذا صح القول بنفي الوسوسة عن الكفار؛ فإنما هو نفي خاص جدا ، والمراد به : نفي أن يوسم له في عباداته، بما يفسدها عليه ؛ فعبادات الكفار الشركية والبدعية : باطلة من أصلها ، فلا حاجة للشيطان في أن يصرفهم عنها ، ولا أن يفسدها عليهم .

وأما وسسة التزيين لضلالهم ، فهي حاصلة .

ووسسة الصرف عن الإيمان ، وأعماله : فحاصلة ، لا إشكال في ذلك كله .

والله أعلم.